


تأليف

أبي العباس أحمد القلقشندي

٧٥٦ هـ - ٨٢١ هـ

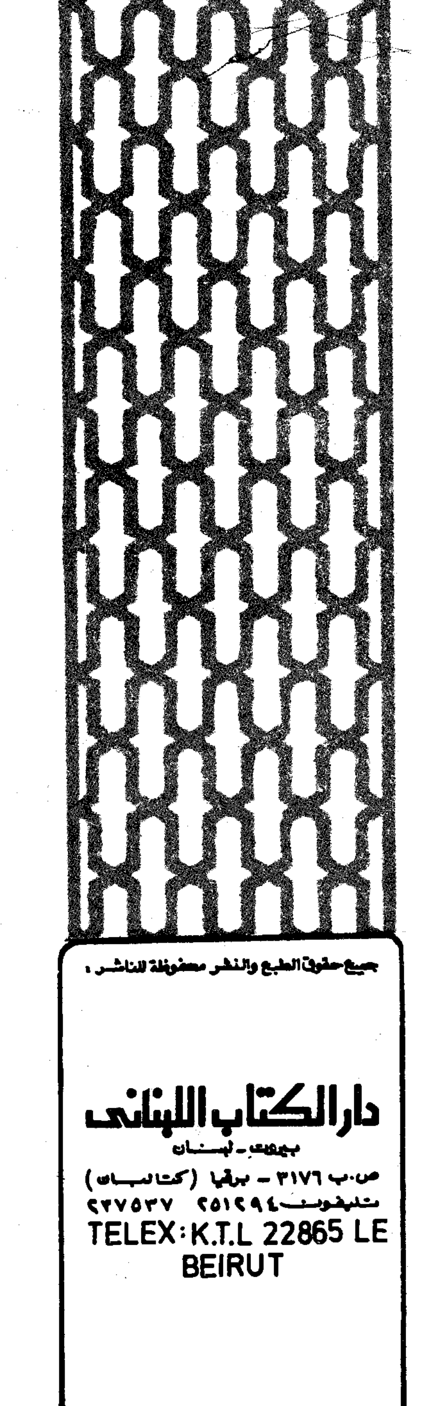
تحقيق

إبراهيم الأبياري

الناشر

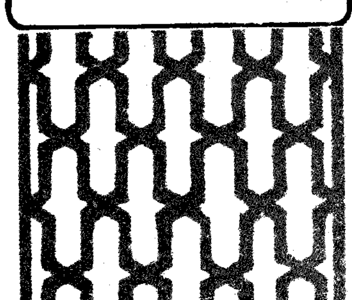
دار الكتاب اللبناني

بيروت





دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتالبان)
تلفون ٢٥١٢٩٤ ٢٢٧٥٣٧
TELEX: K.T.L 22865 LE
BEIRUT



الطبعة الثانية
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

# كلمة أولى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه هى الطبعة الثانية من كتاب "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب" لأبى العباس أحمد القَلْقَشَنْدِى.

تسبقها طبعة أولى من هذا الكتاب كانت سنة تسع وخمسين وتسعمائة وألف، أى منذ نحو من عشرين عامًا تزيد قليلاً.

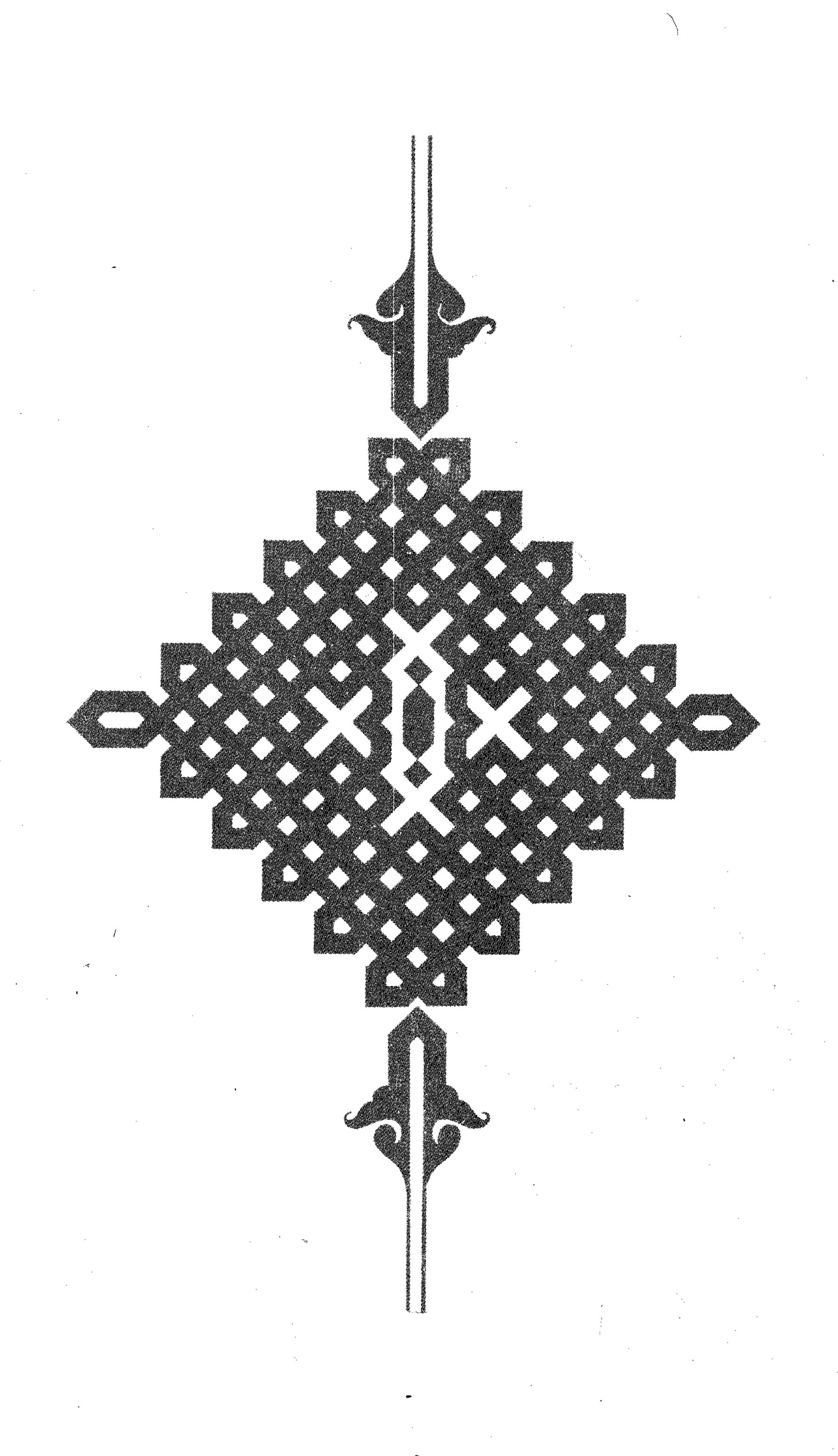
ولقد حظيت منى هذه الطبعة الثانية من هذا الكتاب بنظرة شاملة ردت بعض ما كان من أخطاء إلى الصواب.

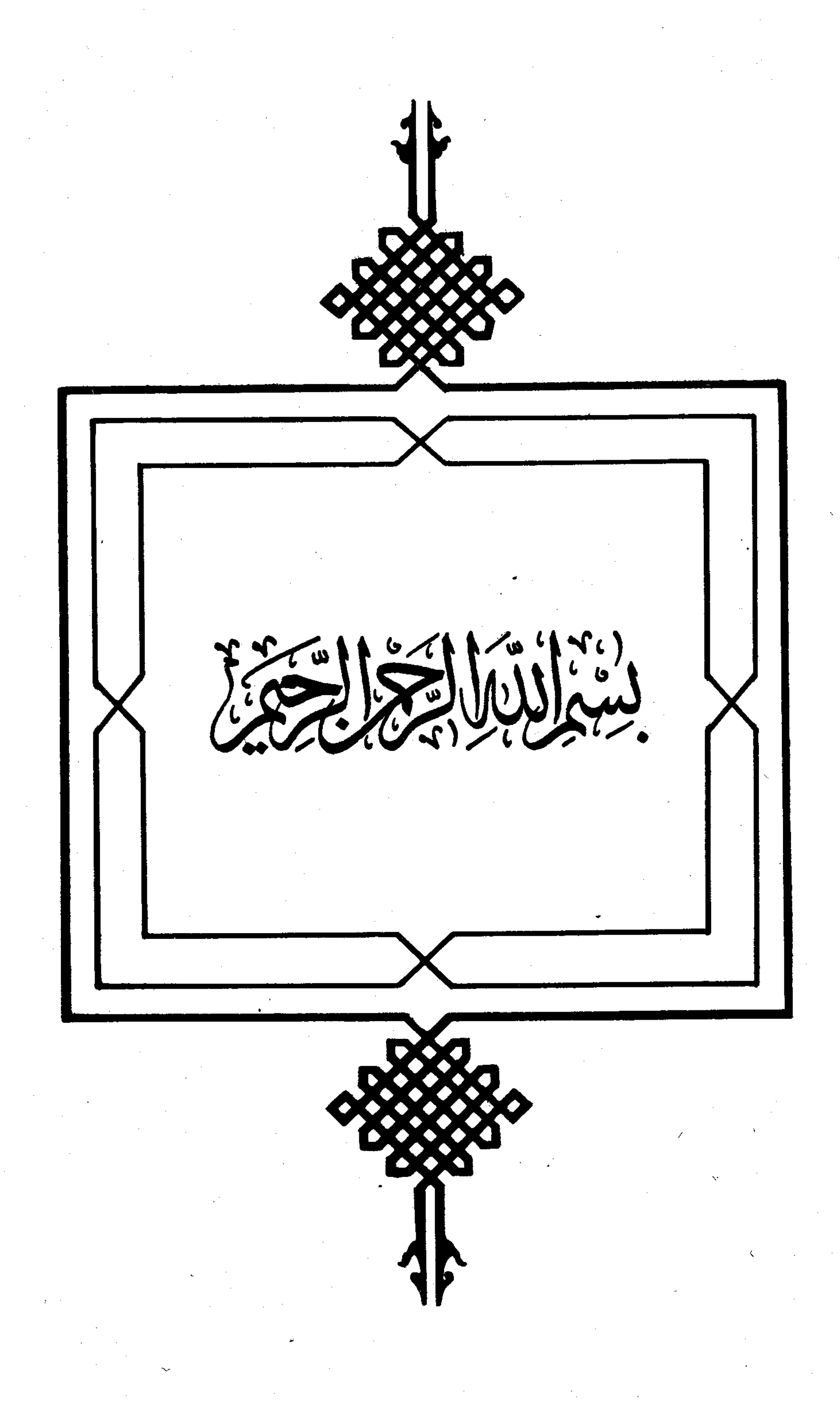
والله أسأل أن ينفع بها كما نفع بسابقتها،

إبراهيم الأبيارى

رجب سنة ١٤٠٠ هـ

مايو سنة ١٩٨٠ م




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

الى الجنوب من مركز طوخ من مديرية القليوبيـــة ، وعلى ثلاثة فراسخ من القاهرة ، والى الغرب من بلدة أجهور الكبرى على ترعة الجاموس ، تقع بلدة تنتظم بساتين كثيرة تكسبها نضرة ، وتشيع فيها جوا عبقا غردا .

تلك هى مدينة « قلقشندة » . يضبطها ابن خلكان بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة ، وسكون النون وفتح الدال المهملة ، وبعدها هاء ساكنة (١) .

ويتبعه صاحب « صبح الأعشى » ذاكرا الضبط بالعبارة ، كما ذكره ابن خلكان ، وما نظنه الا أخذ عنه . غير أنه يزيد : « وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية » (٢) .

وكأنه يستدرك — بهذا الذى زاده — على ياقوت ، حين ذكرها فى معجمه بالراء مكان اللام (٣) .

وما عرض ياقوت لضبطها بالعبارة ، كما هو نهجه ، مما يدلك على أنه لم يكن من أمرها على ثقة .

---

(١) وفيات الأعيان ( ٢ : ١٩٩ ) . (٢) صبح الأعشى ( ٣ : ٣٩٩ ) .
(٣) معجم البلدان ( ٤ : ٥٨ — ٥٩ ) .

ولقد فات « ابن خلكان » ، وهو صاحب هذا الضبط فيما نظن ، أن يعرض لبنية الكلمة فيلقى ضوءا على هذا التوجيه الذى ارتآه . وأكبر الظن — ان لم يكن فيما ذكر معتمدا على غيره سابق له — أن يكون قيّد بهذا الضبط سماعه وما تنطق به الألسنة .

ولعل الذى وقع فيه ياقوت ، كان عليه هذا السماع ، فالأمر كما ذكر صاحب « صبح الأعشى » ، من ورودها باللام لا بالراء ، يزكيه فيه « ابن مماتى » فى كتابه « قوانين الدواوين »[1] لم يذكرها بغير اللام ولم يذكر معها رواية أخرى .

وما عودنا « ابن مماتى » فيما أورد أن يعرض للكلمة بالضبط بالعبارة ، فنناقشه فيما أورد ، ولكنه جرى فى كتابه على أن يورد الأسماء دون هذا الضبط المقيد ، الذى يورده « ياقوت » وغيره بالعبارة ، مع الكلمات التى يتكشف لهم أصلها ، فيجلو الكلمة جلاء يبين مقاطعها ، ويحدد حروفها ، ويعين منحاها فى النطق .

وتكاد تكون مشكلة البلدان مجلوة فى جل ما ليس مصريا ، وبقى جل ما هو مصرى يحوطه الغموض ويكتنفه اللبس . و « قلقشندة » ، واحدة من بلاد كثيرة تنتظر من جمهرة العلماء المصريين هذا الدرس الكاشف الذى يرد الناس الى اطمئنان حين يقرءون ، والى اطمئنان آخر حين يريدون أن يتبينوا مقاطعها ، ان كانت ذات مقاطع ، وأن يتبينوا دلالتها جملة ان كانت من ذوات المقطع الواحد ، شأنهم فى ذلك شأن البلاد التى عنى أربابها بدرسها والعمل لجلائها .

وما أظن جهد العلماء المصريين فى ميدانهم المصرى يسيرا ، ولكنه

---

(١) قوانين الدواوين ( ١٦٧ ) .

جهد التخلى عنه عيب ، والتفريط فيه عيب آخر ، وبقاؤنا بعد انصرام هذه الآماد الطويلة على تراث مغلق عيب لا يصبر عليه كريم .

هذا البلد المصرى القديم وجودا « قلقشندة » الذى جادت أرضه بأطيب الثمرات ، أنجب مستهل القرن الثانى للهجرة ، أو قبله بقليل ، على خلاف فى ذلك ، اماما فى الفقه والحديث ، لا يزال اسمه يملأ الأسماع ، كما لا يزال ذكره على الألسنة ، وما أغلى من قال فيه يوم مماته :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريبا وقبر

وكانت وفاة الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة .

أظلته « قلقشندة » ، وان لم تظل آباءه ، اذ كان أصله من أصبهان، ثم أنبتته ونشأته ، فكان ذلك العالم الفقيه الذى قال فيه الشافعى : الليث بن سعد أفقه من مالك ، الا أن أصحابه لم يقوموا له . والذى قال فيه ابن وهب : ما رأينا أحدا قط أفقه من الليث [1] .

وبعد نحو من خمسة قرون جادت بالكاتب العالم الفقيه المؤرخ الأديب أبى العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب الجمالى ، أبى اليمن الفزارى القلقشندى ، ثم القاهرى ، الشافعى .

وكان مولد أبى العباس سنة ست وخمسين وسبعمائة ، لا خلاف فى ذلك . وكانت وفاته يوم السبت فى العاشر من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، عن خمس وستين سنة حافلة بالتأليف والتصنيف [2] .

ومن بعد أبى العباس أطلعت ابنه محمدا ، المكنى بابن أبى غدة — بالضم — وبالنجم . وكان فقيها شاعرا محدثا .

(١) وفيات الأعيان ( ٢ : ١٩٩ ) .

(٢) الضوء اللامع ( ٢ : ٨ ) . شذرات الذهب (٧ : ١٤٩ ) عقد الجمان للعينى ( وفيات سنة ٨٢١ ) السلوك للمقريزى ( ٣ : ٨٢١ ) .

وكان مولد محمد فى ربيع الأول سنة سبع وتسعين وسبعمائة — أى قبل وفاة والده بنحو من ربع قرن ، ومات غريقا فى النيل فى ربيع الأول سنة ست وسبعين وثمانمائة [1] .

ويعنينا من بين هؤلاء أبو العباس أحمد بن على ، كما يقول السخاوى ، أو ابن عبد الله ، كما يقول العينى والمقريزى . والغريب أن السخاوى على تأخره ، اذ كانت وفاته سنة ٩٠٢ هـ ، يخطّىء العينى والمقريزى على تقدمهما ، فلقد كانت وفاة المقريزى سنة ٨٤٥ هـ ، وكانت وفاة العينى سنة ٨٥٥ هـ . وأولهما مصرى المولد والوفاة ، وثانيهما لم يبعد عن هذه البيئة كثيرا ، فتسمع للسخاوى يقول : « وسمى العينى والمقريزى والده — يعنى والد أحمد — عبد الله ، وهو وهم » .

وظاهر أن السخاوى نقل ما نقل عن شيخه ابن حجر ( ٧٧٣ هـ — ٨٥٢ ) المصرى مولدا ووفاة . فى معجمه ، يصرح بها فيقول : « ذكره — يعنى أبا العباس — فى معجمه » .

وهو يرجح غير مشير الى مأخذ ، يخطىء غير كاشف عن مصدر هذا الخطأ . والمؤلفان اللذان رد قولهما يعاصران شيخه ، وأحدهما وهو المقريزى ، يسبقه وفاة ، وثانيهما ، وهو العينى ، تتأخر وفاته عن وفاة شيخه بأعوام ثلاثة .

والغريب أن السخاوى الذى صرح بهذا الوهم من الشيخين — المقريزى والعينى — وهو يترجم لأبى العباس ، عاد فوقع هو فيه وهو يترجم لابن أبى العباس محمد ، فقال : « محمد بن أحمد بن عبد الله ابن اسماعيل النجم أبو الفضل بن الشهاب بن الجمال أبى اليمن القلقشندى القاهرى الشافعى ، الماضى أبوه » .

* * *

(١) الضوء اللامع ( ٦ : ١٥٧ ) . للمقريزى ( ٣ : ٨٢١ ) .

وأقرب ما يسعفنا لندفعها عن « السخاوى » أن نردها الى تحريف ناسخ ، أو تبديل ناشر ، كان يعتمد على أصل غير « الضوء » يقيم به « الضوء » ، ولعله كان « عقــد » العينى ، أو « سلوك » المقريزى ، أو لعلهما معا ، فاتتقم لهما بما بدل من متن السخاوى .

وأقرب ما يسعفنا كذلك لنرد على « السخاوى » تخطيئه الشيخين ، أن تتهمه بأنه حين نقل عن شيخه « ابن حجر » ما يخالف رأييهما — أعنى العينى والمقريزى — وثق شيخه وضعفهما ، وحين نقل عن غير شيخه ترجمة ابن أبى العباس ، محمد — فلقد كانت وفاته بعد ابن حجر بما يقرب من سبعة وعشرين عاما — لم يتنبه لما فرط منه فيعود اليه بالتبديل، والا فما باله سكت ولم يقل شيئا ، وكان بوسعه أن يقول .

وشيء آخر يسعفنا فى الرد على السخاوى ، اذا سلمنا بأن ما جاء فى ترجمة الابن عنه لا عن تبديل غيره ، ان ما كتبه عن الابن تضبطه المعاصرة ، فما من شك — وهو المتوفى سنة ٩٠٢ هـ — انه شارك الابن الحياة أعواما لاندرى عدتها ، ولكنا لا نراها قليلة ، وهو حين يكتب عن الابن ، غيره حين كتب عن الأب ، فهو هناك ناقل لم يشــهد ولم يسمع ، وهو هنا ناقل قد سمع أو قد شاهد ، والأولى سابقة والثانية لاحقــة .

ولو ملكنا أن نجزم أن هذا الاسم الذى أنكره « السخاوى » وهو يترجم للأب وجاء فى ترجمة الابن ، جرى به قلمه ، ملكنا أن نقول : ان رجلنا : أبا العباس ، هو أحمد بن عبد الله ، غير آبهين بتوهيم السخاوى للشيخين ، وكان عذره لدينا ، فى أنه لم يمح ما فرط منه ، هو ما قدمناه ، وكان صاحب هذا الكتاب هو : أبو العباس أحمد بن عبد الله ، لا : أحمد بن على .

والغريب أن هذا الرجل الذى عمر عمره بتواليف نفيسة ، لم يسبقه متقدم فى تفصيله فى بعضها ، ولم يلحقه متأخر ، مضى ولم تعمر الآذان بحديثه ، واذا ما فيها منه لا يعدو غير لقبه ، تقيمه الألسنة فى القليل وتخطىء فيه فى الكثير . يجهله الكافة بكل ما له ، ويعلمه الخاصة ببعض ما هو له . وما هو أول موطن جهلناه ، ولا آخر عالم منا غاب عنا حديثه.

ولا أدرى أتلك شنشنة قديمة لقناها عن أخزم ، أم هى بدعة الفترة الجاهلة ، التى فصلت بيننا وبين العلم ، فانفصلنا عن أهله ولم نعرفهم .

وأغلب الظن أننا ضحايا تلك الشنشنة وهذه البدعة ، فقديما عرض المؤرخون لأبى العباس فلم يذكروا عنه الا القليل ، لا لأن الزمن باعد ما بينهم وبينه فعفى آثاره ، فلقد لفهم واياه عصر واحد ، ومضى وآثاره بين أيديهم لم يجف مدادها .

فتجد « المقريزى » يذكر حديثه فى أسطر ، ويقفى من بعده «العينى» فلا يزيد الا القليل ، ويعرض « السخاوى » لأكبر موسوعة له ، وهى « صبح الأعشى » ، فيصفها عن سماع لا عن معاينة ، فيجعلها فى أربعة مجلدات ، ويذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون سبعة ، وهكذا هى ، ولا تزال دار الكتب المصرية تحتفظ بهذه المجلدات السبعة الكبار ، كما لا تزال المكتبة الزكية تحتفظ بمثلها . ويذكر « أبو العباس » شيئا من وصف الكتاب فى مقدمته له فيقول : « وقد رتبته على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة » . ولكن « السخاوى » لا يلتفت اليه .

لهذا ندعى أن « السخاوى » يصف عن سماع لا عن معاينة ، وما كان بينه وبين أن يعاين الا قليل من الجهد يتكلفه ، أو قليل من الانصاف يدفعه .

وهكذا مضى « أبو العباس » لم يحفظه الخلف القريبون ، وكاد أن يضيعه الخلف المبعدون .

ولقد صحونا على اسمه تردده الأوساط العلمية مستهل القرن المتم العشرين ، حين طالعتنا دار الكتب المصرية بالجزء الأول من هذه الموسوعة ، وكان هذا لونا من ألوان الانصاف لأبى العباس بعد غيبة طويلة فاصلة .

أما عن مولد أبى العباس فقد عرفته ، وأنه كان فى سنة ست وخمسين وسبعمائة .

وأما عن نسبه ، فقد مر بك مع ذكر اسمه قبل شىء ، واستمع اليه يحدثك هو عن شىء آخر ، يقول — وهو يتكلم عن « بنى بدر » الذين هم من فزارة — : « قلت : وبنو بدر هؤلاء قبيلتنا التى اليها نعتزى وفيها ننتسب » .

وأما عن نشأته فلا أستطيع أن أفصلها لك ، فما من مرجع بين يدى كتب عنه قد فصل ذلك .

ولكنهم مجمعون فى اجمال على أنه ألم بفنون كثيرة :

١ — اشتغل أبو العباس بالفقه ، فخرج منه بشرح واف على « جامع المختصرات فى فروع الشافعية » لشيخ مصرى ، هو المدلجى كمال الدين أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدى ، المتوفى سنة ٧٥٧ هـ .

ويذكر حاجى خليفة اسم أبى العباس هنا بين من يذكر من شراح هذا الكتاب ، فيقول : « العلامة أحمد بن عبد الله بن محمد القلقشندى الشافعى »[١] .

---

(١) كشف الظنون (١ : ٥٧٣) .

ويخرج منه أيضا بشرح على كتاب « الحاوى الصغير فى الفروع » للقزوينى نجم الدين عبد الغفـار بن عبد الكريم الشافعى ، المتوفى سنة ٦٦٥ هـ .

يشير الى ذلك « السخاوى » ، وهو يترجـم له ، ولا يعرض له « حاجى خليفة » فيما عرض له من شروح هذا الكتاب أو مختصراته .

٢ — ويلم أبو العباس بالأدب ، فيخرج منه بكتابه « حلية الفضل والكرم ، فى المفاضلة بين السيف والقلم » .

وهو رسالة أنشأها للمقر الزينى أبى يزيد الداودار الظاهرى ، فى شهور سـنة ٧٩٤ هـ ، حين ولاه السلطان الظاهر برقوق وظيفـة الداوداريـة [١] .

ويخرج منه بشرح على قصيدة « كعب بن زهير » : بانت سعاد ، يسميه هو فيقول : « وقد وضعت على هذه القصيدة شرحا بديعا ، سميته : كنه المراد ، فى شرح بانت سعاد ، فتح الله فيه بمعان لم أقف عليها فى شرح لها قبل »[٢] .

غير أن « حاجى خليفة » ينسب شرحا بهذا الاسم للشهاب أحمد بن حجر الهيثمى [٣] . ويطالعنا فهرست دار الكتب المصرية بشرح بهـذا الاسم أيضا منسوب للحافظ جـلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى[٤] .

ويخرج منه أيضا بتلك المقدمات التى قدم بها كتبه التى وقعت لنا .

---

(١) بدار الكتب المصرية منـه خطية برقم ٦٥ مجاميع م .
(٢) انظر ( ص ٤٢٠ ) من هذا الكتاب .
(٣) كشف الظنون ( ٢ : ١٣٣٠ ) .
(٤) فهرست دار الكتب المصرية ( ٣ : ٣٠٩ ) .

ونكاد نعد له من أدبه أيضا ، وان لم يتسع له لفظ الأدب بمعناه الخاص ، نظمه لهذا الشرح الذى وضعه على « جامع المختصرات » .

٣ — ويشغله التقعيد والتأسيس لفن الانشاء ، فيخرج منه بكتابه « صبح الأعشى فى كتابة الانشا » مسبوقا فى ذلك باثنين ، هما :

العمرى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله المتوفى سنة ٧٤٩هـ بكتابه « التعريف بالمصطلح الشريف »(١) .

والمقر التقوى ابن ناظر الجيش بكتابه « تثقيف التعريف » .

ولكن « أبا العباس » يجد « العمرى » قد أهمل من مقاصد المصطلح أمورا لا يسوغ تركها ، ويجد « ابن ناظر الجيش » قد فاتته مقاصد أخرى لا غنى للكاتب عنها ، فيضع كتابه « صبح الأعشى » الجامع للمقاصد كلها ، فى هذه المجلدات السبعة الكبار ، وذلك فى حدود سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، عند استقراره فى كتابة الانشاء ، بالأبواب السلطانية .

ويحس « أبو العباس » أن الى جانب القارىء المستوعب القارىء المتخفف ، ولا يحب أن يبعد هذا المتخفف عن ورده ، كما قرب المستوعب اليه ، فيختصر هذا الكتاب الكبير فى كتاب صغير ، يسميه « ضوء الصبح المسفر ، وجنى الدوح المثمر » (٢) .

٤ — ويرى أبو العباس أن كتابة الانشاء تستلزم العلم بقبائل العرب ، فيفرغ لهذا الفرع من العلم فيؤلف فيه كتابين ، أحدهما يسبق الآخر .

---

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣١٢ .
(٢) منه نسخة مطبوعة بدار الكتب المصرية .

أما أولهما ، فهو هذا الكتاب الذى بين يديك « نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب » والذى أهداه لأبى المحاسن يوسف الأموى[1] .

وأما ثانيهما ، فهو « قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان » الذى أهداه لأبى المحاسن محمد الجهنى الشافعى المؤيدى ، صاحب ديوان الانشاء حينذاك .

وقد قصد فى هذا الكتاب الثانى أن يستدرك به على الكتاب الأول ، فيفصل شيئا ويعدل عن شيء[2] .

وكان فراغه منه فى الثالث عشر من شهر رجب سنة تسع عشرة وثمانمائة .

وقد يكون هذا آخر عمل ختم به حياته التأليفية .

وفى ضوء هذا الجهد نستطيع أن نؤرخ لأبى العباس ، نستطيع أن نعرفه فقيها من الفقهاء ، وان لم يبلغ مبلغ الأئمة منهم . ولكن الشيء الذى لاشك فيه أنه قعد لهذا النوع من العلم يدرسه ، وكان فى هذا مرموقا ، له رأى وله اجتهاد . وكان طموحا فى أن يبلغ به القضاء ، وما نشك فى أن جهوده الأولى كانت فى الفقه ، فبدأ أول ما بدأ حياته العلمية بشرح « جامع المختصرات » . وكان من الأدب على موصولة ، فمال ينظم ما شرح ، يسخر ملكته الأدبية لفقهه ، اذ كان فقهه يغلب أدبه.

وما نشك أن هذا وقع لأبى العباس وهو فى سن مبكرة ، أى قبل سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، وهى السنة التى تولى فيها كتابة الانشاء بالأبواب السلطانية . لا ندرى متى كان ذلك ، ولكنا نميل الى القول

---

(١) مقدمة المؤلف ( ص ٦ ) من هذا الكتاب .

(٢) مقدمة المؤلف فى كتابه : قلائد الجمان ( مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٦٥ تاريخ ) .

بأن تلك الفترة الأولى من عمره ، أى التى سبقت توليه وظيفة الانشاء ، اتسعت لهذا العمل وذلك ، واتسعت معهما لأن ينشىء « أبو العباس » نفسه تنشئة أدبية .

وكان هذا الجهد الفقهى وتلك النشأة الأدبية كفيلين بأن يدلا على أبى العباس ، فاذا هو فى حدود سنة احدى وتسعين وسبعمائة يختـار لديوان الانشاء ، واذا هذا الاختيار يصرفه عما بدأ به الى الكتابة ، واذا هو يستقبل هذه الحال بما يثبت فيها قدمه ، ويكشف عن فضله ، فينشىء مقامة يفضل فيها صناعة الكتابة على غيرها ، ويرجح كتابة الانشاء على سائر فروع الكتابة .

واذا هذه المقامة تقع موقع الوحى والاشارة ، واذا هى تدفع الى غيرها أبسط وأوسع ، فيأخذ « أبو العباس » فى رسم المنهج لموسوعته الكبيرة يجمع لها المواد ، ويهيىء المراجع[1] .

وما نشك فى أن عملا مثل هذا العمل الكبير يستطيع أن ينجزه « أبو العباس » فى أمد قصير ، لقد تهيأ « أبو العباس » لهذا العمل بعد أن هيأته تلك المقامة له ، ولقد قضى وقتا يستمع للمشيرين ، ويدير الرأى ، لم يتلكأ اذ كان من أهل هذه الصناعة ، ولكنه كان وسط أعذار كابحة مانعة ، لم يكشف عنها ، ولكنه أشار اليها[1] .

غير أنا نجد له كتابا هو « حلية الفضل » أهداه للمقر الزينى أبى يزيد الداودار سنة ٧٩٤ هـ .

ترى هل سبق هذا الكتاب « صبح الأعشى » أم سبقه « الصبح » ؟

نرى أن « الصبح » أجل من أن تتسع له تلك الفترة القصيرة التى

---

(١) صبح الأعشى (١ : ٨ ــ ٩) .

كانت بين سنتى احدى وتسعين وأربع وتسعين ، لهذا فان المرجح أن تكون « الحلية » وضعت قبل « الصبح » وأنها كانت هى الأخرى ، لونا من ألوان هذا التمهيد ، وأن تكون صورة من تلك المقامة ، على شكل أخص .

اذن فلقد سبقت « الحلية » « الصبح » ان صدق هذا الظن ، ثم فرغ بعد هذا « أبو العباس » لعمليه الأخيرين : « نهاية الأرب » ومن بعده « قلائد الجمان » .

لقد وضع أبو العباس « نهاية الأرب » بعد « الصبح » ما فى ذلك شك ، فقد أحال على « الصبح » فى موضعين من كتابه « نهاية الأرب » :

أما أولهما ، فعند الكلام على آل عيسى ، الذين هم بطن من آل فضل ، من عرب الشام ، وذلك حيث يقول فى آخر الحديث عنهم : « وفى كلام آخر يطول ذكره استوفيته فى كتاب : « صبح الأعشى » ، فى كتابة الانشا ، على هؤلاء العرب »[1] .

وأما ثانيهما ، فعند الكلام على « بنى جذيمة » الذين هم بطن من النخع ، وذلك حيث يذكر الأشتر النخعى ، وعهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب له ، فيقول : « وهو من أبلغ العهود ، ولقد أوردته فى كتابى صبح الأعشى ، فى كتابة الانشا ، فى الكلام على عهود الخلفاء والملوك »[2] .

وتكاد ترى معى أن نهج « الصبح » يوحى بكتابه « نهاية الأرب » ، فثانيهما لون من الايجاز لهذا المبسط الذى انضم عليه «الصبح» ، وكذلك

---

(١) نهاية الأرب « آل عيسى » . (٢) نهاية الأرب « بنو جذيمة » .

هو « نهاية الأرب » مع زيادات يوجبها هذا التخصيص الذى أملى على أبى العباس تأليف هذا الكتاب ، أعنى كتاب « نهاية الأرب » .

وبعد هذا كله وضع أبو العباس كتابيه : « ضوء الصبح » و « قلائد الجمان » . نرجح أن يكون ثانيهما آخر ما وضع ، اذ كان سنة تسع عشرة وثمانمائة ، أى قبل وفاته بعامين .

* * *

هذه هى حياة أبى العباس ، منذ طعم العلم أطعمه الناس ، كانت كلها موصولة — كما رأيت — بتأليف ، ليس مما يملى فيخف عبئه ، ولكنه كان من هذا اللون الذى فيه جهد كبير فى الجمع والتبويب ، ثم بالبصر بالمراجع واستخلاص ما فيها ، ثم مناقشة هذا المستخلص ليبين صوابه .

هذا الى أعباء الوظيفة ، وما نظنها كانت قليلة ، وما ندرى كم عمر فيها ، وهل اتصلت بها حياته الى أن مات ، أم أنه ودعها قبل موته بقليل أو كثير ؟

ذلك مما بخلت به علينا المراجع ، وكأنها تترجم لرجل جاء الى الحياة مجهولا ، وخرج منها مجهولا ، لم تذكر عنه الا القليل ، وتركت الكثير مما يمس حياته الخاصة .

* * *

وبعد فانى أحب أن أفرغ لهذا الكتاب الذى أقدمه لك .

من هذا الكتاب مخطوطات ثلاث بدار الكتب المصرية :

الأولى : بقلم محمد بن عبد المنعم العلقمى الشافعى . وقد فرغ من كتابتها فى اليوم التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٩٤٠ هـ . ورقمها : ٩٤٠ تاريخ .

والثانية : بقلم أحمد بن محمد الشاهد . وقد فرغ من كتابتها سنة ١٢٨١ هـ — ورقمها : ٣٧٤ تاريخ .

والثالثة : مجهولة الكاتب ، مجهولة التاريخ ، مختلفة الخط ، مما يدل على أن أقلاما مختلفة تداولت كتابتها — ورقمها : ٣٢٩ تاريخ .

ثم من هذا الكتاب مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس ، وفى آخرها ما يدل على أن كاتبها هو محمد بن أبى العباس ، وأن الفراغ من كتابتها كان سنة ٨٤٦ هـ .

وهذه المخطوطات الأربع تحمل كلها فى صورها ما يفيد أن الكتاب من تأليف محمد بن أحمـد بن عبد الله القلقشندى الشافعى . وأنه ألف كتابه هذا برسم الأمير زين الدين أبى الجود بقر بن رشيد الزينى ، أمير العربان فى البلاد الشرقية والعربية .

ثم تحمل النسخة الباريسية فى الصفحة الأخيرة منها توقيعا باسم « شمس الدين محمد بن قاسم الزينى » ، الابن الصغير للأمير الذى أهدى محمد القلقشندى اليه هذا العمل .

وبعد هذه المخطوطات الأربع تجىء مطبوعة بغداد سنة ١٣٣٢ هـ . وهى من غير شك قد اعتمدت على مخطوطة ، ولكن ناشرها لم يشر اليها .

وتحمل هذه المطبوعة فى مكان العنوان منها اسم المؤلف على نهج آخر ، فتسوقه هكذا : « من مصنفات الفاضل الشهير ، والعلامة النحرير ، امام الأدب ، وبرهان العرب ، أبى العباس الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سليمان بن اسماعيل القلقشندى المصرى الشافعى ، الشهير بابن غدة . تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته » .

وهى لا شك عبارة من صنع صانع ، غير أنها تضم الى اللبس لبسا

آخر ، ولكنه يسير ، فهى قد بدلت بمحمد : أحمد ، اذ كان كاتبها يعرف ان الكتاب لأبى العباس أحمد ، ولكنه لم يعرف كيف يمضى فى سلسلة النسب .

ونرجع الى « كشف الظنون »[1] فنجـده يسوق عبارة من أول الكتاب ، وهو يصفه ، واذا هذه العبارة هى التى تحملها النسخ جميعها ، خطيها ومطبوعها ، واذا هو يسوق بعد هذا : « ألفه لأبى الجود بقر ابن راشد . أمير العربان بالبلاد الشرقية والغربية » .

ثم يقول : « وذكر فيه أنه أوضح من قلائد الجمان لوالده » .

* * *

ما من شك فى أن لأبى العباس كتابا فى أنساب العرب ، ذكره صاحب الضوء اللامع ولم يعرف باسمه ، ولا شك أن هذا الكتاب هو « نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب » صرح به أبو العباس فى مقدمته لكتابه « قلائد الجمان » حيث يقول : « وكان كتابى المسمى بنهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب .. الخ »[2] .

وما من شك فى أن صاحب « نهاية الأرب » هو صاحب « صبح الأعشى » فقد صرح بهذا فى موضعين اثنين مر ذكرهما من قبل فى هذه المقـدمة [3] .

فلأبى العباس أحمد صاحب كتاب « صبح الأعشى » هذان الكتابان: نهاية الأرب ، وقلائد الجمان .

أما « قلائد الجمان » فلا دافع له ، أجمعت على هذا المراجع التى عرفت بأبى العباس ، لا تستثن منها واحدا .

(١) كشف الظنون (٢ : ١٩٨٦) . (٢) قلائد الجمان ، مخطوطة دار الكتب المصرية ــ رقم ٢٢٦٥ تاريخ . (٣) نهاية الأرب ( ص ٢ ) .

غير أن مفهرس دار الكتب فى فهرست التاريخ لهذه الدار زاد على الاسم « المعروف بالقلقشندى ، وبابن أبى غدة » يريد أن يخرج بهذا المقطع الأخير « وبابن أبى غدة » على هذا الاجماع ، ويرد الكتاب مرة ثانية الى « محمد » ابن أبى العباس أحمد .

والخطب فى هذا يسير فأبو العباس يكنى « ابن أبى اليمن » وأبو اليمن من أجداده . ومحمد ابنه يلقب بالنجم ، ويكنى بابن أبى غدة. وكان أبو غدة أباه أبا العباس . وما نظن اثبات هذه الى أبى العباس الا لونا من ألوان السهو الهين .

وأما « نهاية الأرب » فهو الأمر المشكل الذى يحتاج الى مزيد بيـان :

لم يذكر « السخاوى » فى كتابه « الضوء اللامع » ولا « العماد » فى كتابه « شذرات الذهب » ، حين ترجما لمحمد أن له كتابا فى أنساب العرب تلميحا أو تصريحا .

وكل ما جاء من هذا حملته النسخ الخطية بمجموعها ، على الصفحة الأولى منهـا . وزادت مخطوطة باريس فجاءت بامضاء ابن الأمـير أبى الجود ، الذى أهدى اليه الكتاب .

ولكن مقدمة كتاب « نهاية الأرب » تحمل اسما لمهدى اليه آخر ، هو أبو المحاسن يوسف الأموى القرشى ، يقول أبو العبـاس فيها : « وكان للعزيز الأشرف العالم الأموى الأمير الكبير النصيرى الزعيمى النظامى المدبرى المشيرى الأصيلى الكفيلى العزيزى أبى المحاسن يوسف الأموى القرشى » .

ثم يقول أبو العباس عنه وهو يتكلم عن قبيلة « أبان » التى هى

بطن من بنى أمية : « وهؤلاء هم عشيرة المقر الجمالى الموضوع له هذا الكتاب »[1] .

فالكتاب فى مقدمته اسم آخر غير أبى الجود ، الذى يقال ان محمدا أهدى اليه كتابه . ثم هو فى ثناياه ، يحمل ما يدل على أن مؤلفه هو مؤلف « صبح الأعشى » . ثم ان الكتاب لا تكاد تحمل أصوله المختلفة ما يدل على مباينة واسعة تشير بأن هناك كتابين ، أحدهما للوالد والآخر للابن .

وبعد هذا فانى أستبعد أن يضع الابن كتابا فى موضوع ألف فيه أبوه ، وغير هذا أولى به ، ان كان ثمة بين يديه مزيد ، فكان يستطيع أن يجعل ما عنده اضافة على كتاب أبيه أو استطرادا ، كما هى العادة الجارية.

هذا الى أن مقدمة « نهاية الأرب » تكاد تكون هى مقدمة « قلائد الجمان » الا فى التوجيه والاهداء .

ثم ان كتاب « قلائد الجمـــان » بعد هذا على النهـــج الذى بينه « أبو العباس » فى المقدمة ، بسط وتوضيح ، لما لم يكن موضحا أو مبسوطا فى « نهاية الأرب » .

ترى بعد هذا من أين جاء هذا اللبس ؟

أكاد أجزم بأن الابن أهدى مؤلف أبيه بعد مماته الى أبى الجود هذا ، وأنه أمضى هذا الاهداء باسمه ، ولعله نسخ منه نسخة فرغ من نسخها سنة ٨٤٦ هـ ، كما أشار ، فكان هذا اللبس ، وكانت هذه النسخة التى كتبها الابن بخطه ، والتى فرغ من كتابتها سنة ٨٤٦ هـ ، والتى أهداها لأبى الجود ، هى النسخة الأم من هذا الكتاب ، وعنها نقلت

---

(١) نهاية الأرب ( ص ٣٠ ) .

النسخ ، لا تمس ما هو مكتوب فى صدرها . ولم تعالج الطبعة الأولى من هذا الكتاب والتى طبعت فى بغداد ١٣٣٢ هـ ، هذا اللبس ، بل أضافت اليه آخر — كما قلت من قبل — فبقى الكتاب مضطربا بين الأب وابنه ، أو قل منزوعا عن الأب منسوبا الى ابنه .

بقيت هذه العبارة التى ساقها حاجى خليفة والتى يقول فيها « وذكر فيه — يعنى نهاية الأرب — أنه أوضح من قلائد الجمان لوالده .

ولا ندرى على أية نسخة من نهاية الأرب وجد حاجى خليفة هذه العبارة ، وفى أى مكان هى ؟ .

ولقد قرأنا المقدمة ، وقرأنا مع المقدمة الكتاب ، فلم نجد الا ما حدثناك عنه ، أو الا ما يثبت أن « نهاية الأرب » لصاحب « صبح الأعشى » أبى العباس أحمد بن عبد الله .

وأخيرا . فمنذ أعوام لا تقل عن العشرة استنسخت هذا الكتاب أبغى تحقيقه ونشره ، ثم حالت دون ذلك أحوال ، واذا بى بعد هذا الأمد أعود اليه لأحققه ، واذا هذه النسخة التى نسخت لتكون معتمدى فى الماضى ، تكون معتمدى فى الحاضر .

والكتاب بصوره المخطوطة وصورته المطبوعة مملوء بالتحريف لا يكاد يخلو منه سطر ، بل لا تكاد تخلو منه كلمة .

ولعل الأصل الذى خلفه ابن صاحب الكتاب كان غير مستقيم الخط ، ولعل ذلك كان عن شيئين :

أحدهما : بعده عن هذا النوع من العلم فلم يقوم من كلماته شيئا ، وحرف من كلماته شيئا .

وثانيهما : غموض خطه أو دقته ، مما عنى الكاتبين بعده .

نكاد نرجحهما معا ، أو نكاد نرجح الأولى ، ان كان لابد من أن ننفى عنه واحدة . والا فما بال الكتاب يكاد يكون عبثا من العبث . ومحال أن نرد هذا كله الى عمل الناسخين ، فكم من كتب نسخت مرة ومرة ، ولكنها لم تصر الى هذا المصير ، الا اذا كانت أولاها سيئة غير مستقيمة ، فيترك هذا السوء وذلك العوج ، الفرصة واسعة أمام الاجتهاد والاصطناع ، فيؤول أمر الكتاب الى هذا الخلط .

ولولا أن الكتاب منقول ، وتكاد تكون تلك النقول كلها معزوة الى كتبها ، وتكاد تكون جل هذه الكتب موجودة ، لكان محالا أن يكون من هذا الكتاب صورة صحيحة ، أو أقرب الى الصحة ، كتلك النسخة التى بين يديك .

وكدت أقيم للنسخ وزنا فأرمز اليها بحروف ، فرمزت للنسخ المصرية بالحروف : أ ، ب ، جـ ، على ترتيبها الذى سقته من قبل ، ولكنى انثنيت فى أكثر الأماكن عن المتابعة ، حين وجدت ما بين يدى شيئا فاسدا كله .

وكنت حريصا على الحصول على النسخة الباريسية ، ولكن الظروف التى طبع فيها الكتاب حالت دون ذلك ، فمضيت دونها أقنع نفسى بأن أصول الكتاب التى تقل عنها بين يدى ، وأن فى هذه الأصول أكثر الغناء .

وبعد . فهذا هو كتاب « نهاية الأرب ، فى معرفة أنساب العرب » يبعث بعد رقدة طالت ، لا أحدثك عن نفعه فهذا لك ، ولكنى أحدثك عن جهدى فيه ، فهذا لى .

وهو وان كانت نقوله ترجع الى كتب معروفة ، ولكن الكثرة من هذه الكتب لا تعتمد على فهرس ييسر الرجوع اليها ، والانتفاع بمكان الحاجة منها ، الا بعد عناء طويل ، وجهد كبير .

وانى بعد هذا العناء وهذا الجهد أرجو أن أكون قد بلغت ما أملت ، وأن أكون قد أرضيت بعض الرضى هؤلاء الذين يعنيهم ان يجدوا بين أيديهم كتابا جامعا للنسب صحيحا ، وقد حقق أربهم فى الأولى « أبو العباس أحمد » حين جمع لهم ما جمع ، وأطمع أن كون حققت لهم الثانية ؛ حين صححت ما صححت .

والله ولى توفيقى .

ابراهيم الابيارى

شعبان ١٣٧٨ هـ
مارس ١٩٥٩ م